**فقــــــه اللغة وعلم اللغــــــــة**

شاع في الدّراسات اللّغويّة الـحديثة مصطلحان هـما: (علم اللّغة) و (فقه اللّغة)، فاسم علــــم اللّغة عند الغربيين (Linguistic)، أي: العلم الـمختصّ بالكلام أو اللّغة، واسم فقه اللّغة عندهـم هـــــــو: (Philology)، ويعنــــي لفظ Philo) (: الصّديق، و(Logos): الـخطبة أو الكلام، فكأنّ واضع التّسمية لاحظ أنّ فقه اللّغة يقوم على حبّ الكلام للتّعمّق فــــي دراسته من حيث قواعده وأصوله وتواريـخه. وكان اللّغويّون العرب القدامى قــــد صنّفوا فـــــي فقـــه اللّغــة العربيّة، واتّسمت مصنفاتـهم بالدّقة والاستيعاب لـخصائص العربيّة وموادّها وموضوعاتـها.

**وانقسمت مصنّفات القدامى فـي فقه اللّغة العربيّة على قسمين:**

قســــــم يضم مـجموعة مِـن مباحث فقه اللّغــة فـــي كتاب، وآخر يتناول مبحثًا واحدًا فحسـب. ولعلّ لفظة (فقه اللّغة) كانت شائعة في مؤلّفات العلماء في القرنين الرّابع والـخامس للهجرة، فأوّل ظهور لـمصطلح فقه اللّغة كان عند أحمد بن فارس -المتوفّى سنة395للهجرة- فـــــــــي كتابـه: (الصّاحبيّ في فقه اللّغة وسنن العرب فــــــي كلامها)**،** أهداه إلـــــــــــــــــى تلميذه اللّغوي الأديب الصّاحب بن عبّاد -المتوفّى سنة385للهجرة-**؛** لذلك سمّاه الصّاحبيّ**،** وقــد ضمّنه كثيرًا مـن موضوعات فقــه اللّغة مثل: نشـــأة اللّغة العربية، ولهجات العــــــرب،وخصائص العربيّة، والقياس، والاشتقاق، وأثر الإسلام في اللّغة، مشيرًا إلى الـمعنى اللّغويّ والشّرعيّ، فضلًا عن موضوعات أُخرى كالـمترادف، وحروف الـهجاء، وحروف الـمعاني**.**

وقد ضمّن ابن فارس كتابه الصّاحبيّ نظريته التي ابتدعها في النّحت، فهو يرى أنّ الألفاظ التي تزيد حروفها على ثلاثة أكثرها منحوت مِن لفظين، فـ(الصِّلْدم)**،** أي: الشّديد الـحافر من الـحيوان، مأخوذ في رأيه من (الصَّلْد) و (الصَّدْم).

ثم ظهر مصطلح فقه اللّغة عندأبي منصور الثّعالبيّ -المتوفّى سنة429 للهجرة- فـــــــــي كتابه (فقه اللّغة وسرّ العربية)، وليس الكتاب كلّه في فقه اللّغة، بل القسم الثّاني منه فحسب، وهو الذي سـمّاه (سرّ العربية). أمّا القسم الأوّل منه فهو معجم للمعاني، يبيّن فيه معنى عامًا، ثـم يذكر تـحته ما يتعلّق به من مفردات اللّغة. وعُني القسم الثّاني مِن الكتاب بفقه اللّغة وقضايا بلاغيـة ونـحويـة، فمِــــن مباحثه اللّغوية الـمتّصلة بفقــــه اللغــــة كلامــه علــــى الإبـــــدال، والقلب الـمكانيّ، والأضــــداد، والنّــــحت، والإتبــاع، والـمشــترك اللّفظـــيّ الـــذي سـمّــــاه (وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة).

وثـمّة كتب تضمّنت مباحث فــــي فقه اللغة، أو عالـجت شيئًا منه لكنّ عنوانـها خلا من مصطلح فقه اللغة، ككتاب الـخصائصلابن جني -المتوفّى سنة392للهجرة- فمـن مباحث فقه اللغة فيه: القول على اللّغة وما هي، والقول علــى أصل اللغة أإلـهام هي أم اصطلاح؟ وما قِيس علــــــى كلام العرب، والفصيح يـجتمع فــــي كلامه لغتان فصاعدًا، وما يرد عن العربـيّ مـخالفــــًا لـما عليــــه الـجمهور، وتــداخل اللّغات، واختلاف اللّغات، والاشتقاق الأكبــر، ومطل الـحركات، ومطل الـحروف، وحذف الـهمزة وإبدالـها، وغير ذلك.

ويعدّ كتاب (الـمخصّص) لابن سيده الأندلسيّ -المتوفّى سنة458للهجرة-، وهو معجم من معجمات الـمعاني من الكتب التي تضمّنت بـحوثًا في فقه اللّغة كالاشتراك، والتّرادف، والاشتقاق، والتّعريب، والإتباع اللّفظيّ، والقصر والـمدّ، وغير ذلك.

وتناول كتاب (الـمزهر في علوم اللّغة وأنواعها ) لـجلال الدّين السّيوطيّ -المتوفى سنة911 للهجرة- مباحث كثيرة في فقه اللّغة، نذكر منها: نشأة اللّغة، والغريب، والـحوشي، ولغات العرب، والـمستعمل والـمهمل من كلامهم، وتداخل اللّغات وتوافقها، والـمعرّب والدّخيل ، والإبـــدال، والاشـــتقاق، والـمشــترك، والتّرادف، والأضداد، والإتباع، والقلب الـمكانيّ**.**

وتوجــد غيــــر الـخصائص والـمخصّص والـمزهر كتب كثيرة تضمّنت مباحث فــي فقــه اللّغة.

خلاصة القول أنّ أبرز الكتب التي عنيت بفقه اللّغة هذه الـخمسة، اثنان منها حـمل مصطلح فقه اللّغة، وهـما الصّاحبيّ لابن فارس وفقه اللّغة وسرّ العربيّة للثّعالبيّ، وثلاثة لـم تـحمل مصطلح فقه اللّغة، وهي الـخصائص لابن جنّي، والـمخصّص لابن سيده، والـمزهر للسّيوطيّ.

وأمّا الكتب القديـمة التي اختصّت ببحث واحد من مباحث فقه اللّغة فهي كثيرة جدًّا، سنذكر أمثلة لـها دون استقصائها:

فمــن الكتب التــي عُنِيت بالألفاظ الإسلاميّة كتـــــــــاب (الزِّينة في الألفاظ الإسلاميّة العربيّة)لأبـي حاتـم الرّازيّ -المتوفّى سنة322للهجرة-.

ومِـــن كتب الـمشترك اللّفظيّ كتاب (الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في الألفاظ واختلف في الـمعنى) لأبي عبيد القاسم بن سلّام -المتوفّى سنة224للهجرة-، وكتاب (ما اتّفق لفظه واختلف معناه) لإبراهيم اليزيديّ -المتوفّى سنة225للهجرة-، وكتاب (ما اتّفق لفظه واختلف معناه) لأبي العميثل -المتوفّى سنة240للهجرة-، وكتاب (ما اتّفق لفظه واختلف معناه من القرآن الـمجيد) للمبرد -المتوفّى سنة285للهجرة-، وكتاب(الـمنجَّد في اللّغة) لكُراع النَّمل الـهُنائيّ –الـمتوفّى سنة310للهجرة-.

ومن كتب الأضداد كتاب (الأضداد) لقُطْرُب –الـمتوفّى سنة206للهجرة-، وكتاب (الأضداد) للأصمعيّ -المتوفّى سنة216للهجرة-، وكتاب (الأضداد) للتَّوّزيّ -المتوفّى سنة233للهجرة-، وكتاب (الأضداد) لابن السِّكِّيت -المتوفّى سنة244للهجرة-، وكتـــاب (الأضداد) لأبي حاتـم السّجستانيّ -المتوفّى سنة255للهجرة-، وكتـــاب (الأضداد) لأبي بكر بن الأنباريّ -المتوفّى سنة328للهجرة-، وكتاب(الأضداد مِن كلام العرب) لأبي الطّيب اللّغويّ -المتوفّى سنة351للهجرة-.

ومن كتب التّرادف كتـــاب (ما اختلف ألفاظه واتّفقت معانيه**)** للأصمعي، وكتـــــــاب (الألفاظ) لابن السِّكِّيت، وكتـاب (الألفاظ الكتابيّة) لعبـــد الرّحـمـن الـهمدانـيّ -المتوفّى ســــنة320للهجرة-، وكتـاب (جواهر الألفاظ) لقُدامة بن جعفر -المتوفّى سنة337للهجرة-، والألفاظ الـمتقاربة الـمعنى للرّمّانيّ-المتوفّى سنة384للهجرة-. وألّف أبو هلال العسـكريّ -المتوفّى سنة395للهجرة- كتاب (الفروق اللّغويّة) عرض فيه الفروق الدّقيقة في اللّفظين اللّذين يُظنّ أنـّهما مِن التّرادف.

ومن كتب الاشتقاق كتاب **(**الاشتقاق**)** لابن دريد -المتوفّى سنة321للهجرة-، وكتاب **(**الاشتقاق**)** لابن السّرّاج -المتوفّى سنة316للهجرة-.

ومن كتب التّعريب كتاب **(**الـمعرّب**)** لأبي منصور الـجواليقيّ -المتوفّى سنة539للهجرة-، وكتــاب **(**الـمهذّب في ما وقع في القرآن من الـمعرّب**)** للسّيوطيّ، وكتاب (شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدّخيل) لشهاب الدّين الخفاجيّ -المتوفّى سنة1069للهجرة-.

ومن كتب الإتباع اللّفظيّ كتاب (الإتباع) لأبي الطّيب اللّغويّ، وكتاب (الإتباع والـمزاوجة) لابن فارس.

ومن كتب الإبدال كتاب **(**الإبدال**)** لابن السِّكِّيت، وكتاب **(**الإبدال**)** لأبي الطّيب اللّغويّ.

ومن كتب اللّغات كتاب **(**اللّغات) رواية ابن حسنون الـمقرئ عـن ابن عبّاس.

ومن كــتب اللّحن والتّصحيح اللّغويّ كتاب **(**ما تلحن فيه العامّة**)** للكسائي -المتوفّى سنة189للهجرة-، وكتـاب **(**لـحــن العوام**)** لأبـي بـكر الزُّبيديّ -الـمتوفّـى سنـــة379للهجرة-، وكتـاب (دُرَّة الغَوَّاص في أوهام الـخواصّ**)** للحريريّ -المتوفّى سنة516للهجرة.

ومن كتب الـمُثَنَّى كتاب (المثنى) لأبي الطّيّب اللّغويّ، وكتاب (جنى الـجنّتين في تـمييز نوعي الـمثنّيين) للـمُحِبّـيّ -الـمتوفّـى سنـــة1111للهجرة-

ومن كتب الـمثلّث كتاب الـمُثلّث لقطرب، وكتاب الـمثلّث لابن السِّيد البَطَلْيَوْسيّ-الـمتوفّـى سنـــة521للهجرة-، وكتاب إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك الـنّحويّ-الـمتوفّـى سنـــة672للهجرة-

ومن كتب الـمقصور والـممدود كتاب **(**الـمقصور والـممدود**)** لنفطويه -المتوفّى سنة323للهجرة، وكتاب **(**الـمقصور والـممدود**)** لأبي عمر الزّاهد المتوفّى سنة345للهجرة، **و(**الـمقصور والـممدود**)** لأبي عليّ القالي -المتوفّى سنة356للهجرة-.

ويطلق مصطلح فقه اللّغة عندنا الآن على العلم الذي يـحاول الكشف عن أسرار اللّغة؛ للوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتـها، ومعرفة سرّ تطوّرها، ودراسة ظواهرها الـمختلفة دراسة تاريـخية من جانب، ووصفيّة من جانب آخر، وهو بـهذا يضمّ كلّ الدّراسات اللّغويّة التي تبحث في نشأة اللّغة الإنسانيّة، واحتكاك اللّغات الـمختلفة بعضها ببعض، ونشأة اللّغة الفصحى واللّهجات، وكذلك تلك التي تبحث في أصوات اللّغة، ودلالة الألفاظ وبنيتها من النّواحي التاريـخيّة الـمقارنة، والنّواحي الوصفيّة، وكذلك العلاقات النّحويّة بين مفرداتـها.

وحين اكتشف العلمـاء أنّ اللّغات يـمكـن الـموازنة بينها نشأ فقــه اللّغــة الـمقارنComparative Philology، وقد انصبّ أكثر هذه الدّراسات الـمقارنة أولًا على اللّغات الـهنديّة-الأوربيّة، وهناك دراسات تتعلق باللّغات الرّومانسيّة الـمنبثقة عن اللاتينيّة كالفرنسيّة والإيطاليّة والإسبانيّة والبرتغاليّة والرّومانيّة.

وأمّـا علــم اللّغــة الــذي يُطلق عليــه أحيانًا علم اللّغــة العـامGeneral Linguistics فقد دخل الـجامعات العربيّة حديثًا، ويُعْنَى بدراسة اللّغة دراسة علميّة، ويقوم بدراسة اللّغة مِن الـجوانب الآتية:

أولًا: الأصواتPhonetics - Phonology

ثانيًا: بناء الكلمة (الصّرف)Morphology

ثالثًا: بناء الجملة (النّحو)Syntax , Grammar

رابعًا: الدلالة (علم الـمعنى)Semantics

والأساس النّظريّ لـهذا العلم هو أنّ اللّغة ظاهرة إنسانية تستعملها كلّ الـمجتمعات؛ لأداء وظائف مـحدّدة، وبناء هذه اللّغات يتألّف مِن أصوات تنتظم في كلمات، والكلمات تتألف منها جـمل، والبشر جـميعًا يستعملون لغاتـهم في التّعبير عن أفكارهم ورغباتـهم وتوصيلها إلى الآخرين.

ويسعى علم اللّغة العامّ إلى وضع نظرية في اللّغة، ونظرًا لـهذه الطّبيعة النّظريّة أَطْلق عليه بعض الباحثين تسمية (علم اللّغة النّظريّ)Theoretical Linguis ، ويعتمد علم اللّغة العامّ في وضع نظريته ومناهجه على ما تصل إليه علوم اللّغة الـمختلفة.

ويتصل علم اللّغة اتّصالًا وثيقًا بعلوم أخرى إنسانية كعلم الاجتماع والتاريخ والـجغرافيا، وعلوم صرفة كعلم وظائف الأصوات، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم التّشريح، وعلم الوراثة. فعند دراسة اللّغة مِن النّاحية الصّوتيّة لا بدّ مِن الاستعانة بعلم وظائف الأعضاء الذي يقوم بدراسة أعضاء النّطق عند الإنسان، والاستعانة بعلم الفيزياء الذي يـحلّل الأمواج الصّوتيّة في الـهواء بين الـمتكلِّم والسَّامع.

ولـمّا كانت اللّغة لا تـحيا إلّا في ظلّ مـجتمع إنساني ظهر علم اللّغة الاجتماعيّ؛ لاتّصال علم اللّغة الوثيق بالعلوم الاجتماعيّة، ولـمّا كانت اللّغة سلوكًا إنسانيًا حدث امتزاج بين علم اللّغة وعلم النّفس فظهر علم اللّغة النّفسيّ.

ولا بدّ من التّنبيه على أنّه ليس مِن اليسير تـحديد الفروق الدّقيقة بين علم اللّغة وفقه اللّغة؛ لأنّ أغلب مباحثهما متداخل لدى كثير من العلماء، وكان اللّغويون القدامى لا يفرّقون بيـن فقه اللّغة وعلماللّغة؛ لأنّ اللّفظتين تعنيان -في مفهومهم- شيئًا واحدًا، فمعنى الفقه في معجمات الألفاظ هو: العلم بالشّيء والفهم له؛ مـمّا دعا بعض الباحثين إلى التّمسّك بـمصطلح فقه اللّغة وتعميمه على جـميع البحوث اللّغويّة؛ لأنّ كلّ علم بشيء فهو فقه له، فما أجدر هذه الدّراسات جـميعًا أنْ تُسَمّى فقهًا.

وتـميل الدّراسات اللّغوية الـحديثة بـمفهومها الـحديث إلى التّفريق بين فقه اللّغة وعلم اللّغة؛ لأنّ منهجيّة فقه اللّغة تـختلف عن منهجيّة علم اللّغة، فالأُولى تدرس اللّغة وسيلةً لدراسة الـحضارة أو الأدب مِن خلال اللّغة، في حين أنّ علم اللغة يدرس اللّغة لذاتـها.

وأنّ اصطلاح فقه اللغة سبق مِن النّاحية الزّمانيّة اصطلاح علم اللّغة، وأنّ فقه اللّغة يُوصف في الغالب بأنّه مقارن، في حين أنّ علم اللّغة لا يُعنى بـما حول اللّغة.

وأنّ ميدان فقه اللّغة أوسع وأشـمل إذ إنّ الغاية النّهائيّة منه دراسة الـحضارة والأدب، والبحث عن الـحياة العقليّة مِن جـميع وجوهها، لذلك عُنِيَ فقهاء اللّغة بتقسيم اللّغات ومقارنتها بعضها مع بعض، وبإعادة صياغة النّصوص القديـمة؛ لشرحها في سبيل الوقوف على ما تتضمّنه مِن مضامين حضاريّة بـمختلف وجوهها. أمّا علم اللغة فيركز على التحليل لتركيب اللّغة بوصفها ميدانه الأساس.

وأنّ علم اللغة اتصف منذ نشأته بكونه علمًا حسب الـمفهوم الدّقيق لـهذا الـمصطلح، وقد شدّد معظم علماء اللغة على هذه النّاحية.